

تركيا والسعودية معزولتان

■ **حميدي العبدالله**

معروف أنّ تركيا والسعودية لعبتا الدور الأكبر، في تعطيل الوصول إلى حلّ سياسي عادل يحترم إرادة الشعب السوري ويلبّي تطلعاته، وبنيهي الحرب الدائرة منذ حوالي خمس سنوات.
ومعروف أيضاً أنّ السعودية مؤلّت وسهّلت انتقال العناصر المتشدّدة للقتال في سورية ضدّ الجيش السوري، وأنّ تركيا فتحت حدودها وأقامت المعسكرات لكلّ الجماعات الإرهابية وقدمّت لها كل أشكال الدعم، بما في ذلك توفير كميات هائلة من الأسلحة والذخائر وصلت إلى حدّ أنّ هجمات الجماعات المسلحة على جبهتي إدلب وحلب توفرت لها كثافة نارية فاقا كثافة النارية المتوفرة للجيش السوري على الجبهتين.
ومعروف أخيراً أنّ تركيا والمملكة العربية السعودية بذلتا كل جهد مستطاع، ومارستا كل الضغوط على الإدارة الأمريكية لدفعها لشنّ هجوم عسكري مباشر جوي وحتى بري لإسقاط الدولة السورية، وتدمير الجيش السوري.

وأّت هذه المواقف المتضاربة من قبل هاتين الدولتين إلى نتيجتين كان لهما أثر كبير على الأوضاع في سورية:
النتيجة الأولى، عرقلة الوصول إلى حل يهيئ الكارثة التي تعاني منها سورية، ووقف حرب الاستنزاف التي تعرّض لها، وإطالة أمد هذه الحرب.

النتيجة الثانية، تسليح وتجهيز وتدريب آلاف المقاتلين الأجانب الذي ساعد على بناء قوة مسلحة قادرة على مواصلة حرب تدمير سورية على النحو الذي يجري الآن.

اليوم، وبعد التحول في الموقف الأوروبي، والذي سبقه تحول في مواقف مصر وتونس، باتت تركيا والسعودية محاصرتين عربياً ودولياً، وموقفهما شاذ بالمقارنة مع الموقف العربي والدولي الذي يدعو إلى حل سياسي للأزمة في سورية يوقف حرب الاستنزاف وبنيهي الكارثة التي تسبّبت بشتريد الملايين وتدمير الاقتصاد السوري، إضافة إلى آلاف الشهداء والجرحى والمعوقين.

هذا الاستنتاج بعزلة تركيا والسعودية ليس من نسج خيال الذين وفقوا إلى جانب سورية الشعب والجيش والقيادة، بل هذا الاستنتاج صاغته «مؤسسة كارنغي للسلام الدولي» الأمريكية، وهي مؤسسة بحثية معروفة ولها تأثير كبير على صانعي القرار في الولايات المتحدة. ففي أحدث دراسة عن الوضع في سورية حملت عنوان «ماذا بعد صيف سورية الساخن» استخلص معد الدراسة مارك بيريئي أنّ «استمرار تركيا والسعودية بالإصرار على رحيل (الرئيس) الأسد عن السلطة موقفاً معزولاً، وفعلًا ثمة كثير من الوقائع التي حدثت مؤخرًا تؤكد هذا الاستنتاج، فعدد غير قليل من الدول العربية، بينها مصر وسلطنة عُمان وتونس، إضافة إلى الجزائر، وحتى الكويت باتت تؤيد وتدعم الحل السياسي في سورية. ودول مركزية في أوروبا مثل بريطانيا واسبانيا وألمانيا، أعلنت مواقف ترفض فيها أطروحة استمرار الحرب في سورية بذريعة رحيل الرئيس بشار الأسد. بل أكثر من ذلك أنّ مؤسسة كارنغي تتوقع أنّ بتغيور الموقف التركي – السعودي ويتكيف مع المناخ العام العربي والدولي أجلاً أو عاجلاً. إنّ يؤكّد الباحث: «قد تستمرّ تركيا والسعودية في لعب أدوارهما، ولكنهما سوف توفمان في النهاية بتغيير طموحاتهما بحيث تتوافق مع الوضع الجديد».

القمة الأوروبية بين فرنسا وألمانيا

تستعدُّ أوروبا لعقد لقاء قمة تحت ضغط تدفق اللاجئين السوريين إلى عواصمها، حيث تولت ألمانيا استقبال النصيب الوافر منهم، وحيث الصوت الفرنسي بقي الوحيد المنادي بالخطاب الخشبي لما قبل سنوات، فدعا الرئيس فرنسوا هولاند إلى تشديد الغارات داخل سورية ضد «داعش»، بينما التقارير الأمنية الأوروبية تتحدث عن عبثية غارات التحالف في إضعاغ «داعش»، وعن المردود العكسي للغارات دون حرب برية لا يملك التحالف فرضها لاجيوشه ولا بحلفائه، ولا خصوصاً برهاناتها على ما يسميه بـ«المعارضة المعتدلة»، والتقارير الأوروبية ذاتها تقول إنّ الحوار مع الدولة السورية صار ضرورة لتنسيق الجهود لضرب الإرهاب، لأنّ الجيش السوري هو القوة البرية الوحيدة التي تقوم وتقدر أنّ تقوم بهذه المهمة، ولأنّ روسيا اللاعب الرئيسي في سورية من الدول غير الإسلامية قادرة على التعاون لتسهيل المهمة، فتدعو التقارير إلى المزيد من التنسيق الأوروبي الروسي حول سورية.

يتابع هولاند تكرار العواطف القديمة فيضيف إلى الغارات المنتهية الصلاحية، التعاون مع تركيا كأساس للخطة الأوروبية، بينما يعلم الأوروبيون وخصوصاً ألمانيا أنّ أساس المشكلة في تركيا، وإن دعوات هولاند هي محاولة لإبتزاز تركي لأوروبا مجدداً تحت شعار السير بالمنطقة العازلة والاتلقى المزيد من المهاجرين.

نجحت ألمانيا برِّد الكرة التركية التي يحملها الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند إلى القمة الأوروبية، بالدعوة إلى حل قضية اللاجئين السوريين وفقاً للوصفة التي تقدم بها الرئيس التركي ورئيس حكومته، والتي تقوم على دعم الغرب عسكرياً لحكومة «الأخوان المسلمين» في أنقرة، لإقامة منطقة حظر جوي على عمق أربعين كيلومترا داخل الحدود السورية الشمالية، تتعهد تركيا بتأمين ملاذ آمن فيها للاجئين السوريين مقابل تمويل أوروبي للعملية، وكان الجواب الألماني وفقاً لديليولماسيين أوروبيين اتهاماً لتركيا بالتورّط في دفع اللاجئين إلى غزو أوروبا رداً على رفض التورّط في حرب مفتوحة في سورية ستحلجها المنطقة العازلة، التي لن تحقق إزي شيء في مواجهة الإرهاب ولا في مستقبل سورية، وترتبط بأجندات خاصة بالحزب الحاكم في تركيا واستحقاقاته الانتخابية، مضيفة لسان المستشارة أنجيلا ميركل أنّ أوروبا يجب أن تكون مستعدة لتمويل استيعاب اللاجئين في بلدان الجوار لسورية كتركيا وليبنان والأردن إذا أبدت حكومات هذه الدول استعداداً للتعاون.

القمة الأوروبية التي تستعد لتقرار توزيع أعباء اللاجئين على بلدانها، فتحت الباب على البحث السياسي في كيفية وقف التزييف السوري للمزيد من موجات اللجوء عبر الدفغ باتجاه روزنامة ميسرة اجنيف تقوم على تحييد الرئاسة السورية من بعد التحول المشروط للحل، واعتبار البحث بالرئاسة السورية مندرجات ما بعد الاستقلال الموحدة بين الموالاة والمعارضة من ضمن العملية الديمقراطية التي يجب أنّ ينتجها الحل السياسي، الذي يجب أنّ يقوم على عنوان مشترك هو الحرب على الإرهاب، وهذا هو المناخ الذي كانت إشاراتته قد بدأت من إسبانيا والنمسا وبريطانيا وتوجّه ألمانيا.

في أوروبا سياستان وزعامتان، واحدة تصعد ويبيدها الحلول وواحدة تشيخ ويبيدها صنعت المشاكل، ولن ينسى العالم صورة وزير خارجية فرنسا لوران فاييوش وهو يصافح زعيم داعش حالياً في ليبيا مهدي الحارثي على الحدود التركية السورية على رأس جماعات مسلحة ودون حرج يقول فاييوش هؤلاء هم أبطال الحرية، بينما تقف اليوم أوروبا لتتسلم نتائج السياسات الحمقاء والغبية وتسيغ لترتيب أوروبا من جديد خصوصاً بعد الفاشم النووي مع إيران والمتغيّرات الروسية العسكرية في سورية لتقول إنّ طريق استقرار سورية وأوروبا واحد ويبيد من حيث تحدث وزير خارجية أسبانيا بالانفتاح على الرئيس السوري بشار الأسد.

«توب نيوز»

ألمانيا بدل تركيا وفرنسا

كانت الحسابات الدولية والإقليمية رغم النبرة العالية التي توحى بذهاب الجميع إلى منتصر وهمز متعلق ضمنا من أنّ النهاية في حرب سورية ستكون طاولتا تفاوض، وأن كل طرف يسعى إلى حجز مقعد على الطاولة.
- الناخبون على الطاولة كانوا أميركا وروسيا وإيران وسورية، والقatal لتخديد من هم الآخرون، وما هي أحجامهم.

سعت السعودية لتحويل عنادها ومالها ودعمها للجماعات المتحدّرة من الوهابية رصيذاً لها لحجز مقعدها ومع تبعية هذه الجماعات لتركيا و«إسرائيل» لم يعد لها مكان ففشلت وصار وجودها رمزيا لامتناع الصورة.
- سعت «إسرائيل» لحجز مقعد ليس لتلجس عليه بل لتتعهّد لدجيبة النصر»، وكان رهانها على رسم خطوط حمراء في القلمون والجولان لحماية الإمارة وتحويلها جزأما أمنيا ففشلت في عملية القنيطرة وفتنة السويداء وصارت خارجا.

- كانت تركيا المؤهل الوحيد شبه الثابت من حلفاء أميركا، وبعد مغامرة المنطقة العازلة واللعب بقضة اللاجئين للضغط على ألمانيا ستخرج من الطاولة كلاعب وليقّب كوميارس، ولكن بعد انتخاباتها القريبة.
- ألمانيا صارت بدل فرنسا وتركيا الحليفين اللذين يعيشان في وهم أحلام الماضي.

التعليق السياسي

■ غسان يوسف

من يسمع التصريحات العالمية بشأن اللاجئين السوريين الذين يتوافدون إلى أوروبا مرورا بتركيا تصيبه الصدمة، ولا بدّ له أن يحس بالفقر والذلّ، فاسواق الخناسة فتحت للسوريين في أوروبا والمزاد بدأ من دون توقف... ألمانيا (النازية سابقا) تفرش البساط الأحمر للمهاجرين السوريين! وتتحولّ بين ليلة وضحاها إلى دولة في قمة الوداعة والإنسانية... تلغي فجأة العمل باتفاقية دبلن التي تنص على ضرورة أن يسجل اللاجئين أنفسهم ويقدموا طلب اللجوء في الدول التي يدخلون منها إلى أراضي الاتحاد الأوروبي.

ولعلّ الجواب الأوضح على الإجراءات الألمانية جاء من مارين لوبان زعيمة الجبهة الوطنية الفرنسية التي اتهمت ألمانيا بأنها تطعم من خلال فتح حدودها أمام آلاف المهاجرين وطالبي اللجوء إلى اتخاذهم «عبدا» وتشغيلهم باجور متدنّية بعدما شارف سكانها على الهلاك.

وهو ما يؤكد الكاتب الفرنسي تيري ميسان من أنّ أرباب العمل في ألمانيا، قرّروا في شهر كانون الأول من العام الماضي 2014، إدخال 800 ألف من اليد العاملة المهاجرة لاستغلالهم في صناعاتهم!

ولعلّ (البرويغندا) التي أثّرت حول صورة الطفل إيلان كانت متعمّدة من هذه الصافيّات، فصورة إيلان نسخت آنيا، وتمّ نشرها خلال يومين على صدر الصفحات الأولى لجميع صحف منطقة حلف شمال الأطلسي تقريبا!

ما يؤلمك حقاً أنّ دولاً استعمارية في تقدّم حلّ حياتها للشعب السوري سوى القتل والدمار، هي اليوم تتسارع لاستغلال أزمة اللاجئين وتتكرم علينا بقبولها عشريّن ألفا، أو أربعة وعشرين، كما تفعل كل من بريطانيا وفرنسا ولكن بشرروطهما!
المخزي أكثر في هذه التراجيديا أنّ دولاً فقيرة تعيش على المساعدات الأوروبية مثل رومانيا الدولة الأوروبية القليلة تعلن على لسان رئيسها كلاوس إيوهاغنيس أنّ لسان يمكن أنّ تستقبل 1785 مهاجرا كحدّ أقصى!

المزاد وصل إلى الدانمارك وفنزويلا وأستراليا والبرازيل ودول لم نسمع

قضية اللاجئين السوريين... تغيير ديمغرافي مدروس؟!



بها يوماً ولا تُرى حتى على الخريطة!

ووصل الأمر ببعض اللاجئين لعبور القبل الشمالي وصولاً إلى الدول الاسكندنافية.

رئيس الحكومة التشيكية روبرت فيتسو أكد أنّ سبب أزمة تدفق اللاجئين الحالية إلى دول الاتحاد الأوروبي هو حالة القوضى وتعكير الاستقرار التي أوجدتها الحرب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من خلال تدمير ليبيا وإرسال الأسلحة إلى الإراهيين في سورية، فهل من يعترين؟!

ولعلّ الكلمات الصادق جاءت في لسانى ثلاثة، الأول: طفل بريء كان بين المهاجرين ساهل صحافي عن سبب هجرته؟ فقال بكل براءة: «عندما يوقفون الحرب على سورية لن نهاجر!»

والثاني: هو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي قال أنّ السوريين يهربون من داعش، لكنه لم يكمل ومن المبرهون أن دولاً فقيرة تعيش على المساعدات الغربية وتركيا وبعض العرب، ربما لأسباب دبلوماسية.
الثالث: كان رئيس الحكومة الهنغارية فيكتور أوربان الذي يتهمه البعض بالعنصرية... أوربان هذا وجه عبر صحيفة «دي بريسه» النمساوية انتقادات إلى الدور الأوروبي في الأزمة

البناء

قضية اللاجئين السوريين... تغيير ديمغرافي مدروس؟!



في سورية، قائلًا: إنّ الاتحاد الأوروبي قدم دعماً إلى «معارضة» سورية غير موجودة كما قام بمعاداة القيادة السورية.

وتساءل أوربان: لقد دمّرنا العراق وماذا فعلنا الآن في سورية؟ لافتاً إلى أنه على أوروبا أن لا تكون جزءاً من أسباب تدمير تلك الدول والمجتمعات.

الوقائع تقول إنّ المناطق التي استولت عليها الجماعات المتطرقة جرى تغييرها ديمغرافيا حتى أصبح في الرقة أحياء للشيشان والإيفور والطاجيد إلخ... حتى أنّ قرى في جسر الشغور ومنها قرية الزنقي التي جرى تهجير أهلها يسكن فيها الآن حوالي 3500 صيني إيفوري نصفهم مقاتلون يتلقون الدعم من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الذي يعتبر أصوله تعود إلى تلك البلاد أي شرق الصين. وتقول المعلومات أنّ تركيا تحذب جيشا كاملاً من الایجور يتجاوز الثلاثين ألف مقاتل سيجري إشراكهم في القتال في سورية ومن ثم توطينهم مع عائلاتهم في المناطق المحاذية لتركيا في أرياف حلب ودابلي!

ما يحدث اليوم يذكرّنا بالسفن التي رست في لبنان أوائل سبعينات القرن الماضي إبان الحرب الأهلية اللبنانية والتي جاءت لإخلاء المسيحيين إلى كندا والولايات المتحدة، أو بطلب

السفير اريك شوفالييه الفرنسي السابق في سورية في بداية الأزمة من المسيحيين مغادرة سورية إلى فرنسا والدول الأوروبية الأخرى.

والسؤال، لماذا يترك الأوروبيون الشعب السوري يتعرض لكل هذه الهيدة إذا كانوا هم من يشاركون من التغيير الديمغرافي السوري، وهم

من يحتاجون إلى السوري وخبرته وطاقته؟!

لكن قبل الختام من واجبي ككاتب أن أذكر لكم قصة الطبيب السوري المنحوي الجامعي صالح مؤنس الذي درس الطب في جامعة مرسيلا بعدما تخرّج من كلية الطب في جامعة تشرين السورية، وحاز الدكتوراه الفرنسية في علم الوراثة، وسجّل براءة اختراع في علم الجينات، ليصل مجموع ما قضاه في فرنسا عشرات سنوات من العلم والحصول الطبي، فكانت القارة العجوز لم تغره بالبقاء في مشافيهها وتكوين ثروة طائلة بل عاد إلى وطنه والتحق بمشفى حرستا يداوي الجرحى ويسهر على راحة المرضى إلى أن استشهد في هجوم ما يسمّى (جيش الإسلام) الأخير على ضاحية الأسد ومشفى حرستا، رحمه الله الدكتور صالح مؤنس، ولكم فيه عبرة أيها السوريون.

من أجل تفعيل العلاقات

المصرية .السورية لمواجهة

الإرهاب وحماية الأمن القومي

■ **د. محمد أشرف البيومي***

هذه دعوة ملحة للمثقفين المهتمين بالدفاع عن الدولة الوطنية في سورية ومصر، حيث تواجه هجوما شرسا من جهات عدة. وهو نداء للقيام بواجبنا لتفعيل العلاقات المصرية - السورية، كخطوة ضرورية لمحاربة الإرهاب ومواجهته بشكل متكامل.

في كانون الثاني من العام الماضي تساءلْتُ، عبر مقال نشر في جريدة «التحرير» المصرية، عن أسباب الصمت المدوّي «للخبة المصرية» حول ما يدور في سورية. ومن المهم أنّ نتناول الأسباب الموضوعية التي تفسّر هذا الصمت وما إذا كانت هذه الأسباب لا تزال قائمة بنفس الدرجة، وما إذا كان الوقت قد حان لتفعيل العلاقات بين البلدين، وخصوصا على المستوى الشعبي، وأهمية ذلك بالنسبة إلى الأمن القومي المصري. وهنا يطرح السؤال: ما الذي نستطيع فعله للمساهمة في تحقيق هذا الهدف؟ أسباب الصمت

من أهم أسباب هذا الصمت أنّ مصر خضعت، لعدة عقود، لمناخ «صامب دافيد» والانفتاح الاقتصادي، فانتشرت ثقافة تغيب الوعي القومي، ونشأ فراغ ثقافي ملأته إن الثقافة الوهابية المنحرفة، أو الثقافة الليبرالية الجديدة التابعة، وقد ساهم كلاهما في تخفيف الشغرات والمصطلحات والأولويات الوطنية لحساب أولويات مقبولة أميركا وصهيونيا ورواج مصطلحات وشعارات مخادعة ومغرضة، مثل شعار«مصر أولاً» الذي ساهم في غزل مصر عن محيطها العربي، وشعار «الديمقراطية أولاً»، كمدخل على التخريب الأميركي وتغييب القضايا القومية، وشعار«السلام خيارنا الإستراتيجي» لقتل روح المقاومة والنسبة إلى الأمن القومي المصري. وهنا يطرح السؤال: ما الذي نستطيع فعله للمساهمة في تحقيق هذا الهدف؟ أسباب الصمت

من أهم أسباب هذا الصمت أنّ مصر خضعت، لعدة عقود، لمناخ «صامب دافيد» والانفتاح الاقتصادي، فانتشرت ثقافة تغيب الوعي القومي، ونشأ فراغ ثقافي ملأته إن الثقافة الوهابية المنحرفة، أو الثقافة الليبرالية الجديدة التابعة، وقد ساهم كلاهما في تخفيف الشغرات والمصطلحات والأولويات الوطنية لحساب أولويات مقبولة أميركا وصهيونيا ورواج مصطلحات وشعارات مخادعة ومغرضة، مثل شعار«مصر أولاً» الذي ساهم في غزل مصر عن محيطها العربي، وشعار «الديمقراطية أولاً»، كمدخل على التخريب الأميركي وتغييب القضايا القومية، وشعار«السلام خيارنا الإستراتيجي» لقتل روح المقاومة والنسبة إلى الأمن القومي المصري. وهنا يطرح السؤال: ما الذي نستطيع فعله للمساهمة في تحقيق هذا الهدف؟ أسباب الصمت

من أهم أسباب هذا الصمت أنّ مصر خضعت، لعدة عقود، لمناخ «صامب دافيد» والانفتاح الاقتصادي، فانتشرت ثقافة تغيب الوعي القومي، ونشأ فراغ ثقافي ملأته إن الثقافة الوهابية المنحرفة، أو الثقافة الليبرالية الجديدة التابعة، وقد ساهم كلاهما في تخفيف الشغرات والمصطلحات والأولويات الوطنية لحساب أولويات مقبولة أميركا وصهيونيا ورواج مصطلحات وشعارات مخادعة ومغرضة، مثل شعار«مصر أولاً» الذي ساهم في غزل مصر عن محيطها العربي، وشعار «الديمقراطية أولاً»، كمدخل على التخريب الأميركي وتغييب القضايا القومية، وشعار«السلام خيارنا الإستراتيجي» لقتل روح المقاومة والنسبة إلى الأمن القومي المصري. وهنا يطرح السؤال: ما الذي نستطيع فعله للمساهمة في تحقيق هذا الهدف؟ أسباب الصمت

لا شك أنّ الخداع الإعلامي والأكاذيب المتكرّرة عبر قناتي «الجزيرة» و«العربية»، وسط غياب إعلام مصري يبيث الحقائق عن الأزمة السورية، ساهم، في شكل أساسي، في تشويه الحقائق وانصراف غالبية المثقفين عن هذا الأمر.

استجدات خلقت مناخاً مواتياً لتفعيل العلاقات

بعد سقوط حكم الإخوان في مصر وعزل محمد مرسي، الذي رفع شعار «لييك يا سورية»، معلناً دعمه لمجموعات المعارضة «المسلحة» والإرهابيين، تفاعلت عوامل عدة لخلق مناخ جديد في مصر إزاء الأزمة السورية، وعدّل أهم هذه العوامل الصمود الأسطوري السوري. فلا النظام سقط كما توقع، أو تمثى البضع، ولا انهار أو تفكك الجيش الوطني السوري، ولا انتصرت جحافل الإرهابيين، رغم تعرّض سورية لدمار واسع شمل التراث الحضاري، ورغم تعرّض السوريين للمعامنة ضخخة.

اليوم، زال الكثير من الغبار الذي أخفى الحقائق، فأنكش الدور الأمريكي - التركي - القطري - السعودي - الأردني، الصهيوني في دعم الإرهابيين وتوحدت أهدافهم للقضاء على النظام السوري الذي يرفض أهدافهم الأميركية، كما أنّ الدور الكبير للإرهابيين الأجانب، دحض مقولة الحرب الأهلية، واكتشفت تبعية المعارضة لقوى إقليمية أو دولية، ومدى هامشيتها وانتهائيتها، وظهر الوجه القبيح لحكّام السعودية في اعتدائهم وجرائم الحرب التي يتنوّتها ضدّ الشعب اليمني، برز بشكل واضح دور الإرهاب وممارساته الشنعاء وذاق الشعب المصري بعضها عندما قطعت رؤوس مصريين في ليبيا، واتسعت العمليات الإرهابية ضدّ جنود وضباط الجيش المصري وقوات الأمن وأغتيل قضاة ودمّرت منشآت. اتضح بدرجة أكبر كيف أنّ الإرهاب واحد ومصادر تمويله واحدة وأسلوبه واحد، وتبيّن، بدرجة أكبر، الهدف الصهيوي -أمركي بإضعاف الجيش المصري والسوري وإنهاكهما. كذلك برزت المساندة الميديئة الروسية للنظام السوري اعترافا بحجوريته في حماية الدولة السورية ومنع تفككها. كما اتضح أنّ الإرهاب لا يانه بالحدود القطرية، ما يعطيه مرونة وحركة وهذا يحتم معالجة شاملة واستراتيجية متكاملة لتسلب الإرهاب مرونة حركتهم.

دور الدولة المصرية

رغم أنّ طموحاتنا بالنسبة إلى موازنة سورية رسمياً أعلى بكثير من موقف الحكومة المصرية، إلا أنّ الحكومة تبدو مرتكة لهذه المستجدات، وقد رفعت مستوى التعاون الأمني بعد أن عزّل الشعب وجيشه الرئيس محمد مرسي. أتكدت الحكومة المصرية، رغم عدم رضى السعودية، على ضرورة وحدة سورية، رافضة الانجرار وراء شعار إزاحة الرئيس السوري بشار الأسد، معتبرة أنّ الشعب السوري وحده هو الذي يختار رئيسه. كل هذا أعطى مؤشرات واضحة، فزار وفد إعلامي مؤخرًا العاصمة السورية دمشق ومدنا سورية عدة، وتمسّس الوضع على أرض الواقع. كان التأثير الإيجابي للزيارة ملموساً من خلال المقالات في الصحف الرئيسية، وإبراز ضرورة التعاون من أجل رفع كفاءة حربينا على الإرهاب، برغم القيود التي تحاول السعودية فرضها على الحكومة المصرية. وكما قلما مرارا، فإنّ حاجة السعودية لمصر أكبر من حاجة مصر للسعودية، فبرغم العناء الاقتصادي، لا يمكن الانقراض من الأهمية الاستراتيجية التي تملكها مصر كما أنّ الشعب المصري أثبت، مرارا، أنه مستعدّ لتحلّل الكثير من أجل حماية كرامته واستقلاله. كل هذا يعطى الدولة حرية حركة، كما أنّ مصر تملك بدائل اقتصادية وعسكرية تمنع الإمدادات الإقليمية أو الدولية.

تتصاعد حيرة الحركة هذه، إذا كان هناك دعم غير رسمي على اتجاه التعاون السوري- المصري والذي يطالب بعودة العلاقات التي قطعت في عهد مرسي. ومن المتوقع أنّ الأعباء الاقتصادية التي تعاني منها السعودية، نتيجة عدوانها على الصين وانخفاض أسعار البترول، بالإضافة إلى الاكتشاف المثير لأكثر حقل غاز في البحر الأبيض قبالة الشواطئ المصرية بالقرب من العريش، ستكون له تداعيات جذرية تحرّر مصر من أعبائها الاقتصادية ومن أنّ ضغوط سياسية تمارسها السعودية و «إسرائيل».

علينا أن نتذكّر أنه قبل أكثر من ثلاثة عقود وقيل أن تتقلّب ثقافتنا «صامب دافيد» انتفض قطاع واسع من الشعب المصري، ورغم القيود الأمنية، شكل اللجنة المصرية لمناصره الشعب الفلسطيني واللبناني وذهب بعض أعضاء اللجنة إلى بيروت المحاصرة على سفينة المنصورة.

لا استتقع سورية وشعبها لجنة مناصرة تكون بمثابة جبهة سورية - مصرية مشتركة؟ يجب أن نشارك الدولة في جهود محاربة الإرهاب في مصر وسورية، فالإرهاب لا ينبغي فصل مكوناته، وخصوصا النشاطات التي قد تجد الدولة قيودا في ممارستها.

فلنبدأ بإرسال وفود مصرية تمثل هيئات مختلفة، ولنبدأ كل من نقابة الصحفيين ونقابة المحامين واتحاد الكتاب، كهيئات رائدة في قيادة العمل الوطني، بالإضافة إلى شخصيات عامة وإعلامية من أجل زيارة سورية لمعاينة الواقع عن كثب ومقابلة مسؤولين ومعارضين في الداخل والمساهمة في حوارات ثقافية، والنشّق للملازم لهذا النشاط هو دعوة وفود سورية لهيئات مماثلة لزيارة مصر والقيام بلقاءات سياسية وثقافية وإعلامية. فهل يبلي رؤساء القناتيات المذكورة ومحاسنها هذا الطلب العاجل والهام؟ وإن مثل هذا التفاعل وغيره على المستويات الفنية والإعلامية كافة، وعلى مستوى المحاربين القدامى من أبطال «حرب أكتوبر» تشرين الأول 1973، سيكون له أثر بالغ وسيدفع الحكومة في اتجاه علاقات وثيقة مع سورية ودعم الأمن القومي لكلا البلدين.

أسناد الكيمياء الفيزيائية في جامعتي الاسكندرية وولاية ميشيغن (سابقا)